سبيل دعوة الحق

والقائم بأمرها

الدكتور
فوزى عبد العظيم رسلان قمر



تمهيـــد :

الدعـوة الى الله ـ تعالى ـ رافقت بدء الخليقـة ، وسـوف تصحبها حتى يومها الأخير ، مؤيدة بتأييد الله ـ عز وجل ـ ومحفوظة بحفظة ، لا يضرها من خالفها حتى يأتي أمر الله ، وذلك مصداقا لقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه البيهقى : « يحمل هـذا العلم من كل خلف عـدوله ، ينفـون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » ....

غير ان المتأمل أحوال الدعاة ، والقائمين بأمر الدعوة إلى الحق ، يرى أصنافا وألوانا على الساحة الاسلامية ، خالفوا بمنهجهم المقيم سبيل الدعوة ، فضلوا الطريق ، وابتعـدوا عن حقيقة دعوة الحق .

فهناك على سبيل المثال : دعاة منفرون يحرمون ولا يذكرون البديل ..... وهؤلاء يذهبون بأنفسهم ويتلمسون للبراء العيب ، ويدعون العلم ، ويتهمون أكابر الفقهاء بالجهل ومشاقة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقـد تبنوا أحكاما معينة فى قضايا صغيرة أو كبيرة ، وخرجوا بهـا على الناس ، فزادوا المسلمين فرقة ، وزادوا الطين بـلة .... !

وهناك دعاة يغرقون في الفروع دون الأصول .... ومن الثابت المقرر أن الخلاف الفقهي لا يوهي بين المؤمنين أخوة ، ولا يحـدث وقيعه ! وهؤلاء يجعلون من الحبة قبة ، ومن الخلاف الفرعي أزمة .

والخلاف اذا نشب يكون لأسباب علمية وجيهة ، وهؤلاء تكمن وراء خلافاتهم علل .... ومن الغريب أن الخلاف لا يقـع فى مزيد من الخـدمات الاجتماعية ، ولا فى مزيد من مظاهر الايثار والفضل ، انه يقـع فى الحرص البالغ على الأمور الخلافية كالتقطع فى مكان وضع اليدين ، أو طريقة وضع الرجلين خلال الصلاة ! وهنـاك دعاة

يغضوا الله الى خلقه بسوء كلامهم او سوء صنيعهم ، فبدل آن يهدوا صدوا ، وبدل آن يسدوا سلبوا .... !

وقد نبه القرآن الكريم الى خطورة نفر من الأحبار والرهبان ، جعلوا الدين كهانة تفسد بها الفطرة ، وتصطاد بها المنفعه ، قال تعالى : **« إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله »**(١) .

وهذا النوع من الناس آفة الأديان كلها ، وفيه يقول الشاعر :

وهل أفسد الدين الا الملك وأحبار سوء ورهبانها

فباعوا النفوس ولم يربحوا ولم تغل فى البيع أثمانها(٢)

وهناك دعاة يعيشون دور الكهان القدامى ، فيصورون الاسلام دينا دموى المزاج ، شرس المسلك ، يؤخر اللطف ، ويقدم العنف ، ويهتم بقص الأظافر والأشعار أكثر مما يهتم بقص زوائد الأنانية وغمط الناس »(٣) .

ومن المحزن أنك ترى الصورة التى تقدم عالميا لدار الاسلام ، أنها الدار التى ينتهب فيها المال العام ، ويسودها حكم الفرد ، وتهان فيها كرامة المرأة ، بل تضيع حقوقها ....

وأن المصلحين من الدعاة لا جؤار لهم الا بحرب التصوير ، والغناء ، والسفور ، والتلفاز ، وأن العودة الى الاسلام كما يطلبها الشباب لا تعنى الا العودة الى الهمجية الأولى ....

---

(١) سورة التوبة من الآية رقم ٣٤ .

(٢) مشكلات فى طريق الحياة الاسلامية ـ محمد الغزالى ـ ص ٩٨ .

(٣) أنظر مشكلات فى طريق الحياة الاسلامية ـ محمد الغزالى ـ ص ٥٢ .

أجـــل !!

ان هناك نهضات مخلصة لكن ينقصها الفقه والتجربة ، ونهضات صادقة لكن يخــونها الرسميون من علمــاء الدين ، أو يتثاقلون فى نصرتهــا •

وهناك نفر من الحكام يحبون الاسلام حبا جما ، لكن لا يدرون كيف يحكمونه ، وهنـــاك حكام عالنــوا بتأييـدهم للعلمانية ولسياسة المرتد الزكى مصطفى كمال(١) ••••

انه بذلك يوجــد تقصير مكشوف ، كما يوجد جهل فاضح على الساحة الاسلامية ، والنتيجة أن دعوة الحق لا تحصد الا الشوك من وراء هؤلاء جميعا ، الذين ينطلقون بعقولهم الكليلة يسيئون ولا يحسنون •••• وليس ذلك عجيب ، لكن العجب أن يبقى الخطأ وأن نصر عليه !! والأعجب أن يمضي بعضنا فى طريق الانحراف ولا يدري •••• أو لعله يحسب نفسه على صــواب •

اننا اذا فى حاجــة الى داعية متمكن يعرف دعوة الحق ، ويعمل لتمكينها وتأصيلها فى نفوس الخلق ، ويعرف الوسيلة الصحيحة التى تدركه بمطلوبه حتى لا يهوى فى مكان سحيق ، ويحسب أنه من الذين يحسنون صنعا ، وقديما قالوا : « لا ترم سهما يعييك رده » •

وأن يكون كذلك مخلصا فى دعوته ، منطلقا من هــذه القاعــدة ، لا يطلب على هــذا العمل جزاءا من أحــد •

وهــذه صفات أصيلة ـــ نفسية أخلاقية ـــ يجب أن تتوفر فى القائم بامر الدعوة •

وهناك صفات أخرى فنية يجب أن لا تغفــل ، أهمهــا القراءة الكثيرة ، وطلب الاستزادة من العلم • هــذا المطلب كان أمرا من الله

---

(١) المصــدر السابق ص ٥٢ •

ــ عز وجل ــ لنبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ حيث قال الله تعالى : **فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علمـا »(١)** ، ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يقول : « اللهم انفعنى بمـا علمتنى ، وعلمنى ما ينفعنى ، وزدنى علمـا ، والحمد لله على كل حال » .

والعلم الذى يقبل المسلم عليه ، ويستفتح أبوابه بقوة ، ويرحل لطلبه من أقصى المشارق والمغارب ، ليس علما معينا محـدود البـداية والنهاية ، والقرآن الكريم ليس فيه الا آية واحـدة تناولت العلم الدينى ، وهى قوله تعالى : **« وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلـولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قـومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحـذرون »(٢)** .

وما عـدا ذلك من الآيات فانها تعنى العلم الشامل لكل المعارف الانسانية ، فكل ما يوسع منادح النظر ، ويزيح السدود أمام العقـل النهم الى المزيد من العرفان ، وكل ما يوثق صله الانسان بالوجـود ، ويفتح لـه آمادا أبعـد من الكشوف والادراك ، وكل ما يتيح لـه السيادة فى العالم والتحكم فى قواه ، والافادة من زخائره المكنونة ، ذلك كله ينبغى التطلع لـه والتضلع فيه ، ويجب على المسلم أن يأخذ بسهم منه ، وهـذا الشمول دلت عليه الآيات والسنن(٣) .

« يقول ابن الجوزى ــ من علماء القرن السادس الهجرى ــ ينبغى للعاقل أن ينتهى الى غاية ما يمكنه فلو كان يتصور للآدمى صـعود السموات لرأيت من أقبح النقائص رضاه بالأرض ! ولو كانت النبوة تحصل بالاجتهاد رأيت المقصر فى تحصيلها فى حضيض »(٤) !

---

(١) سورة طـه الآية رقم ١١٤ .
(٢) سورة التوبة الآية رقم ١٢٢ .
(٣) خلق المسلم ــ محمد الغزالى ــ ص ٢١٧ .
(٤) مشكلات فى طريق الحياة الاسلامية ــ محمد الغزالى ــ ص ٣١ .

هـذه الصيحة الشماء نضحت من وحى الايمان الحـق ، ومن خصائص التربية الاسلامية فى الشروق المحمدى الأول ، وهو الشروق الذى قاده رجال أصحاب عزمات شـداد وآمال عراض فطـووا فى سياحتهم المشارق والمغارب .

ولو رأى ابن الجوزى المسلمين الآن فى عصر الفضاء ينظرون الى غزاة الجوبيلاهة لحمل السوط وجلد به الظهـور ، ولبرأ الاسـلام من هـذا الانتماء المخزى([1]) .

واذا كان العلم بحر لا قرار له ، ولا شطان لـه ، وكلما تعمق طالبه فيه فتحت لـه فيه ابواب جـديدة ، وتبينت لـه معالم كانت خافية ، وتحتاج الى مزيد بحث ، ومزيد تحقيق ، من أجل هـذا كان الواجب على حامل العلم ان ينشد الزيادة منه على الدوام ، وأن يستمر فى طلبه ما عاش ، فالعلم يحتاج دائما الى تجـديد ونماء([2]) .

ومن هنا يظهر بوضوح أمر الله لرسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « **وقـل ربى زدنى علمـا** »([3]) .

يقول الشيخ محمد الغزالى : « ان علوم الحياة مساوية لعـلوم الآخرة فى خـدمة الدين وتجلية حقائقه ، غاية ما هنـالك أن عـلوم الطبيعة تحتاج دراسة أطول . أما العلم بالدين فميسور لن أخلص له أياما معـدودات ، واذا كان التوسع فى فروع الشريعة يحتاج مددا فسيحة ، فهـذا التوسع وظيفة اجتماعية كسائر الوظائف التى تستكثر منها الدولة ، أو تستقل وفق المصلحة التى تنجح رسالتها العليـا . وليست دراسة الحقوق أو القضاء أشرف فى ذاتها من دراسة الطب مثلا ، ولو بلغ صاحبها مبلغ أبى حنيفة ، وانما يرجح الرجل صاحبه فى علمه بمقـدار ما يسخر هـذا العلم لنفع الناس ابتغاء وجه الله ، وانتظار ما لديه من مثوبة »([4]) .

---

(١) المصـدر السابق ــ نفس الصفحة ــ .
(٢) الاسلام والعلم ــ د. القرضاوى ــ ص ٥٨ .
(٣) سورة طـه من الآية رقم ١١٤ .
(٤) خلق المسلم ــ محمد الغزالى ــ ص ٢١٨ ، ٢١٩ .

بهذه الروح العلمية ، كفل الاسلام للآخذين به كل ما تستدعيه الحياة الاجتماعيه من عوامل للتطور ، وبواعث للنهوض والارتقاء ، ودوافع للتبسط في الأرض ، والاختلاط بالأمم ، والاقتباس منها ، واستهداف أغراض قصيه ، والدأب على بلوغها ، فكان للاسلام ما رمى اليه ، فتألفت من أهله امة لم تبلغ شأوها امة قبلها ولا بعدها : صحه في العقيدة ينحنى العقل والعلم اجلالا لها ، وتسليما بها ، وعلوا في الحياة كانوا معها مطمح أنظار الأمم ، ومدينه فاضله تنعم فيها الروح والجسد معا ، مصداقا لقوله تعالى : **« من عمل صالحا من ذكر او أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبه ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون »(١)** .

واذا كان العلم النافع من أسس الحضارة الاسلامية ، فان الاسلام لا يقيم حضارته على العلم المادى فقط شأن المدنية الحديثه في العالم الغربى ، وانما يوجه الانسانية الى مصدر آخر للعلم والمعرفة هو القلب ، أو هو الروح والبصيرة ، حضارة الاسلام حضارة ربانية ، حضارة قائمة على العقيدة والأخلاق ، يقول تعالى : **« إن السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا »(٢)** . فالسمع والبصر : هما أساس العلم المادى ، علم التجربة والملاحظة ، اما القلب فانه أساس العلم الالهامى .

ان الله سبحانه وتعالى يوجه المسلم الى الملاحظة والتجربه ، ويوجهه أيضا الى الاستشراق للهداية والنور القلبى عن طريق الخلق الكريم ، والتقوى ، والاخلاص ، وحب الانسانية ، والمعاونة في الخير ، واذا كان الاسلام أوسع نظرة في الجانب العلمى عن الحضارة الحديثة ، وأدق وأشمل ، فانه يختلف معها اختلافا جذريا حاسما في مسألة الارادات والنوايا ، وفى امر الأسباب ، وفى اتجاه الغايات والأهداف .

ان الحضارة الحديثة تقول : ان العلم لا صلة له بالأخلاق ، أو تقول العلم لا أخلاقى والعلم في نظرها لا شأن له بالخير والشر .

---

(١) سورة النحل الآية رقم ٩٧ .

(٢) سورة الاسراء من الآية رقم ٣٦ .

ولكن الاسلام يجعل أسس العلم متسمة بالخير لـو يجعل غايتـه منغمسة في الخير ، ويجعل من العلم قربى الى الله ، ويجعل منه عبادة لله ، انه سبحانه يجعله باسمه الكريم ، ان العلم فى الجو الاسلامى قراءة باسم الله • ومن هنا كانت حضارة الاسـلام : حضارة رحمـة وهـداية لا حضارة تدمير وتخريب(١) •

وصدق الله حيث يقول :

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين »(٢) •

وفى هـذا وغيره ما يدل على أن دعوة الحق دعوة شاملة ، حولت العالم كله ونقلته الى أوضاعه الجـديدة التى لم تكن معلومة ولا معهودة لـه من قبل ، ففى ربع قرن تقريبا كان نبى الانسانية قـد اسـتطاع اعـداد جيش من خلال المعلمين والمجاهدين ، من رهبان الليل ، وفرسان النهار ، من عشاق الخلد ، ومصلحى الأرض ، سبحان من أبدع النبى الخاتم ــ صلى الله عليه وسلم ــ لينشىء هـذا الجيل من الأصـحاب البررة المهرة الذين ساحوا فى البـلاد ، واجتاحوا جـذور الفساد ، وكانوا خير أمة أخرجت للناس •

وفى هذا الدور من الوجود العربى امتزجت خصائص جنس بحقائق رسالة ، وكانت كلمة (عروبة) ترادف كلمة (اسلام) وعرف العرب انهم جسد روحه هـذا الدين ، فهم به يتحركون ، وهـو بهم ينطلق ليفتح السجون ، ويكسر القيود ، ويمـكن المستضعفين أن يتنفسوا الصعداء ، ويخرجوا من ضيق الدنيا الى سعة الاسلام ، ومن عبـادة العباد الى عبادة الله تبارك وتعالى »(٣) •

---

(١) الرسـول صلى الله عليه وسلم ــ د. عبـد الحليم محمـود ــ ص ١٠٥ ، ١٠٦ •

(٢) سورة الأنبياء الآية رقم ١٠٧ •

(٣) انظر مشكلات فى طريق الحيـاة الاسلامية ــ محمد الغزالى ــ ص ٥٥ •

لقد حولت دعوة الحق العرب الأميين الى أساتذة راسخين فضلاء ، وأنشأت حركة فكرية ما كان للعالم عهد بها من قبل ، وذلك بأن أقامت العقل الانسانى على الحقائق وحدها ، وقضت على الأوهام والظنون ، واعتمدت على الفكر الزكى ، والحواس اليقظة فى تقرير أنواع المعرفة ، وما كانت البشرية تدرك ذلك لولا القرآن الذى عد الغباء ، وبلادة الحواس ، وقلة الوعى هى طريق النار ، قال تعالى : **« ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون »**(1) .

كما قام الخلق الاسلامى على نشدان الكمال فى السلوك الانسانى كله .

ولكى يستقيم حال الأمة الاسلامية ، وتكن لها القيادة والصدارة ، كان ولابد من دعاة يعرفون الداء ، ويصفون الدواء ، ولو كلفهم ذلك كل غال وثمين فى دنيا الناس ، عالمين بكتاب الله ــ تعالى ــ وبسنة نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ متأسين بالرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأصحابه الأطهار .

وما جاء فى هذا البحث من توجيه القرآن الكريم والسنة النبوية من خصائص دعوة الحق ، وصفات القائم بأمرها ، انما هى دعائم وأسس دالة على حقيقة هذه الدعوة وسبيل القائم بأمرها .

(1) سورة الأعراف الآية ١٧٩ .

اولا : ســبيل الدعــوة

١ ـ الاخلاص للحــق دون غيره :

لقــد وجه الله ـ عز وجل ـ نداءه الكريم الى رسوله الخاتم سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمره ونصحه على أنه صاحب دعوة الى الحق ، وذلك ضمن ما يوجهه اليه من نصائح وتوجيهات يلتزم بها من أجــل انجاح الدعوة ، ووجهه ـ سبحانه ـ بأن لا يشرك معــه أحــدا ، والا يجامل أحــدا فى دعوته ، والا كان غير جاد فى دعوته الى الحق ، قال تعالى :

« فلا تدع مــع الله الها آخر فتكون من المعذبين ، وأنذر عشيرتك الأقــربين »(١) .

وامارة هــذا الاخلاص أن تكون الدعوة الى الحق وحــده ، وفى سبيله خاصة ، لا يجامل أحــدا من الخلق على حسابه ، ولا يقصد من ورائه شيئا يتطاول به على الغير ، ويعود اليه بالنفع المــادى أو المعنوى فى دنيــاه التى يحياها .

ولقــد طبق النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا التوجيه الالهى ، والتزم به حين الخطاب ، فوجــه دعوته الى الأقربين منه ، وطلب منهم أن يكونوا قــدوة طيبة لغيرهم فى تطبيق مبادئها ، وتحقيق أهدافها .

كما سوى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بينهم وبين غيرهم ، ولم يخص أحــدا من أهله وعشيرته بنوع من التقرب والزلفى ، فالكل سواء لا فضل لأحــد على أحــد الا بالتقوى والعمل الصالح . يقول ابن هشام وغيره : « .... ثم نزل الرسول فاستجاب لقوله تعالى : **« وأنــذر عشيرتك الأقربين »**(٢) ، بأن جمع من حوله جميع ذويه وأهــل قرابته وعشيرته ، فقال : يا بنى كعب بن لؤى : أنقــذوا أنفسكم من النار ،

---

(١) سورة الشعراء الآيتان رقم ٢١٣ ، ٢١٤ .
(٢) سورة الشعراء الآية رقم ٢١٤ .

يا بنى مرة بن كعب : أنقـذوا أنفسكم من النار ، يا بنى عبد شمس : أنقـذوا أنفسكم من النار ، يا بنى عبد مناف : أنقـذوا أنفسكم من النار ، يا بنى عبد المطلب : أنقـذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة : انقذى نفسك من النار ، فانى لا أملك لكم من الله شيئا »[1] .

وفى الوقت الذى يتطلب فيه الاخلاص الى دعوة الحق عـدم الاشراك بالله ـ عز وجل ـ ، وعـدم مجاملة أحـد على حساب هـذا الحق ، يتطلب ـ كذلك ـ من صاحب الدعوة ان يكون لـين الجانب متواضعا فى علاقته ومعاملته مع من يخاطبهم بهذه الدعوة الحقة[2] .

كل هـذا يدل على أن الدعـوة الى الحق فـوق الملك والرياسة والامارة ، وفوق الجاة ، بل وفوق كل شىء يقع فى النفس الانسانية من استعلاء وترفع على الخلق ، لقـد أمر الله ـ عز وجل ـ نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كصاحب دعوة ، ومبلغ رسالة ، بالتواضع ولـين الجانب ، وذلك من خلال قوله سبحانه : « **واخفض جناحك لمن اتبعـك من المؤمنين** »[3] ، فكان صلى الله عليه وسلم كما أمره ربه ـ سبحانه ـ فعن عياض بن حمار ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ان الله أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحـد على أحـد ولا يبغى أحـد على أحـد »[4] ، وعن أبى رفاعه تميم ابن أسيد ـ رضى الله عنه ـ قال : انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وهـو يخطب ، فقلت : يا رسول الله رجل غريبجاء يسأل عن دينه لا يدرى ما دينه ؟ فأقبل على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وترك خطبته حتى انتهى الى ، فأتى بكرسى فقعد عليه ، وجعـل يعلمنى مما علمه الله ، ثم أتى خطبته ، فأتم آخرها[5] .

---

(١) أنظر فقه السيرة ـ د. محمد رمضان البوطى ـ ص ٧٩ ، ٨٠ وقال : متفق عليـه واللفظ لمسلم .
(٢) راجع فى ذلك : النبوة والأنبياء ـ الصابونى ـ ص ٢٩ ـ ٣٦ .
(٣) سورة الشعراء الآية رقم ٢١٥ .
(٤) رواه مسلم ، أنظر رياض الصالحين ـ النووى ـ جـ ١ ص ٢٤٣ .
(٥) رواه مسلم . أنظر رياض الصالحين ـ النووى جـ ١ ص ٢٤٤ .

ومن الدلائل الكبرى لتواضعه الشريف ـ صلى الله عليه وسلم ـ و أنه جاءه رجل يحادثه فأخذته رعدة شديدة من هيبته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال لـه فى تواضع شديد لا يعرف فى تاريخ المجتمعات الانسانية ، هـون عليك فانى لست بملك ولا جبار ، انما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القـديد »(١) ، فاسترد الرجل هدوءه واستطاع أن يتحـدث بحاجته ، ثم قال يعلمنا التواضع ويطبعنا عليه ، « يا أيها الناس انى أوحى الى أن تواضعوا الا فتواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحـد ولو ذميا أو معاهـدا أو مؤمنا ، ولا يفخر احـد على أحـد وكونوا عباد الله اخوانا »(٢) .

وهنا يمكن لنا أن نقول ان شواهد الاخلاص لدعوة الحق ثلاثة .

(أ) عـدم الاشراك بالله ـ تعالى ـ .

(ب) عدم مجاملة أحد على حساب دعوة الحق ، والانحراف بها فى تمييز أحـد على احـد .

(جـ) التواضع وعـدم الاستعلاء من جانب الداعى ، تجاه المؤمنين بدعـوة الحـق .

وهناك شاهد آخر يضم الى هـذه الشواهـد الا وهو التجرد عن الحقـد والكراهية تجاه من لا يؤمن بهـذه الدعوة بعـد عرضها عليه ، قال تعالى : « **فإن عصوك فقل إنى برىء مما تعملون** »(٣) ، ذلك لأن الأمر بيد الله ـ عز وجل ـ لا بيد أحـد من خلقه ، فالكل تحت أمره و ذلك من آيات الله من يهـد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجـد لـه وليا مرشدا »(٤) .

---

(١) انظر الزرقانى على المواهب جـ ٤ ص ٢٧٦ .
(٢) رواه ابن ماجـه والحاكم .
(٣) سورة الشعراء الآية رقم ٢١٦ .
(٤) سورة الكهف من الآية رقم ١٧ .

٢ ــ عرض الدعوة بأمانة دون اكراه :

لو استعرضنا القرآن الكريم فى هــذا الجانب نجـد أن لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ جانبين :

الجـانب الأول :

أنه صلى الله عليه وسلم داع الى الحق باذن الله ، قال تعالى :

« يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا »(١) ٠

والجـانب الثانى :

أنه صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة للأمة الخاتمة ، وأن أمره من أمر الله ، قال تعالى :

« لقـد كان لكم فى رسول الله أسـوة حسنة لمن كان يرجـوا الله واليوم الآخر »(٢) وقال سـبحانه : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضـل ضلالا مبينا »(٣) ٠

لكن لو تأملنا القرآن الكريم ووقفنا وقفة تأمل خاصة فيما جاء فى قـول الله تعالى :

« إنما أمرت أن أعبد رب هــذه البلدة الذى حرمها وله كل شىء وأمرت أن أكون من المسلمين ، وأن أتلوا القرآن فمن اهتدى فإنمـا يهتدى لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين »(٤) ٠

نجـد فى الآية الأولى : مضمون دعوة الحق ، وهى دعوة الى عبادة الله ــ عز وجل ــ وحـده ، الذى لــه كل شىء فى الوجود ، فمن

---

(١) سورة الأحزاب الآيتان رقم ٤٥ ، ٤٦ ٠
(٢) سورة الأحزاب من الآية رقم ٢١ ٠
(٣) سورة الأحزاب الآية رقم ٣٦ ٠
(٤) سورة النمل الآيتان رقم ٩١ ، ٩٢ ٠

فعل ذلك وآمن كان من المسلمين ، وليس فى ذلك دلالة على أن الاسلام للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وحــده ، بل فى هــذا اطلاق اتسم به الاســـلام ، لتاكيــد أنه رسالة الله ــ عز وجــل ــ قال تعالى : « إن الدين عند الله الإسلام »(١) .

أما الآية الثانية : فهى تشير الى الأسلوب المتبع الذى يجب أن يتجمل به النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ويتصف به تجاه موضوعية الدعوة ، فعلية أن يتلو القرآن على ، الناس ، ويدعوهم بدعاية الاسلام ، فمن اهتدى به وآمن فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضـــل وكفر وأعرض فعليه وزره ، وعاقبته ؛ ولا شأن للنبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ به ، فموقفه لا يعــدو أن يكون موقف الناصح المرشد المنذر ، « ومن ضـــل فقل إنما أنا من المنذرين »(٢) .

ومعنى ذلك أن الرسـول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وكذلك كل داعية لهــذا الدين الحق لا يجوز له أن يكون مكرها على الدعوة ، ولا ملزما اياها فى أية صورة من صور الاكراه والالزام ، وهــذا ما يستفاد من قول الله تعالى :

« وبالحــق أنزلناه وبالحــق نزل وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا ، وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا »(٣) .

ذلك لأنها دعــوة حــق لا تحتاج الى اكراه ، ومتى كان الداعى قــد حــددت وظيفته فى دعوته عن طريق البشارة لمن يؤمن بالدعوة ، وطريق الانذار لمن يكفر بها ويعارضها ، فليس هناك ما يحمله على الالزام والاكراه لغــيره .

وفى هــذا دلالة واضــحة لتكريم الانسان ، والمحافظــة على حرماته ، وعلى ممارسته لحريته الفردية ، ومن أجل هــذا كانت دعوة

---

(١) سورة العمران من الاية رقم ١٩ .
(٢) سورة النمل من الآية رقم ٩٢ .
(٣) سورة الاسراء الآيتان رقم ١٠٥ ، ١٠٦ .

الاسلام دعوة للانسان فى كرامته ، وفى مستوى انسانيته الرفيع ، كما أراد الله لـه حين خلقه ، قال تعالى : «لقـد خلقنـا الانسان فى أحسن تقويم »(١) وقال أيضا : « ولقـد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ، يوم ندعوا كل أناس بإمامهم فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلا ، ومن كان فى هـذه أعمى فهـو فى الآخرة أعمى وأضل سبيل »(٢) .

٢ ـ دعوة الحق ليست سلعة يكتسب من خلالها :

لقـد أكد القرآن الكريم هـذا المفهوم وذلك من خلال ذكره لدعوة الأنبياء والرسل السابقين ، فهم لا يلتمسون من النـاس أجرا ، ولا يقبلون على تبليغ الرسالة ثمنا ، انما يطلبون الأجر والثواب من الله ـ عز وجل ـ فكل نبى من الأنبياء كان يعلن ذلك على رءوس الأشهاد ، ويقرر بوضوح وجلاء أن دعوة لم تكن من أجل طلب الدنيا أو طلب المـال ، يقول الله ـ تعالى ـ مبينا ذلك :

« كذبت قوم نوح المرسلين ، إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون ، إنى لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون ، وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين »(٣) .

ويقـول سـبحانه :

« كذبت عاد المرسلين ، إذ قال لهم أخـوهم هـود ألا تتقون ، إنى لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون ، وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين »(٤) .

---

(١) سورة التين الآية رقم ٤ .
(٢) سورة الاسراء الآيات رقم ٧٠ ـ ٧٢ .
(٣) سورة الشعراء الآيات رقم ١٠٥ ـ ١٠٩ .
(٤) سورة الشعراء الآيات رقم ١٢٣ ـ ١٢٧ .

ويقــول ســبحانه :

« كذبت ثمود المرسلين ، إذ قال لهم أخــوهم صالح ألا تتقون ، إنى لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون ، وما أسالكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين »(١) .

ويقــول ســبحانه :

« كذبت قــوم لوط المرسلين ، إذ قال لهم أخــوهم لوط ألا تتقون إنى لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون ، وما أسالكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين »(٢) .

ويقــول أيضــا :

« كذب أصحاب الئيكة المرسلين ، اذ قال لهم شعيب الا تتقوى ، انى لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون ، وما أسالكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين »(٣) .

فنرى من خلال هــذه الآيات ــ السابقة ــ أن نوحا ، وهودا ، وصالحا ، ولوطا ، وشعيبا ــ عليهم السلام ــ طلب كل واحــد من قــومه طلبا واحــدا لم يتغير ، ألا وهــو الايمان بدعوة الحق ، دون انتظار أجر أو ثناء من أحد ، بل الأجر والجزاء من الله ــ عز وجل ــ .

وعلى هــذا النحو ، وجه القرآن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حيث قال الله له : « أولئك الذين هــدى الله فبهــداهم اقتده قل لا أسالكم عليه أجرا إن هــو إلا ذكرى للعالمين(٤) . وفى هــذا اشارة واضحة الى الايمان بمنهج الرسل السابقين ، والاقتداء بهم ، وعــدم طلب الأجر من أحــد من المدعــووين ، فهــذا غرض دنيــوى مرفــوض .

---

(١) سورة الشعراء الآيات رقم ١٤١ ــ ١٤٥ .
(٢) سورة الشعراء الآيات رقم ١٦٠ ــ ١٦٤ .
(٣) سورة الشعراء الآيات رقم ١٧٦ ــ ١٨٠ .
(٤) سورة الأنعام الآية رقم ٩٠ .

ولكى يسجل القرآن البعد التام عن الانحراف بدعوة الحق ، يطلب الله — عز وجل — من الرسول — صلى الله عليه وسلم — أن يعلنها صريحة فى قوله سبحانه :

« قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله وهو على كل شىء شهيد »(١) .

بعد هذا العرض يسهل لنا أن نقف على السبب الذى من أجله تكبو دعوة الحق وتتعثر ، هذا السبب يكمن فى الاحتراف بدعوة الحق ، وطلب الأجر عليها ، وجعلها وسيلة لجمع المال والجاه ، وطلب السيادة والرفعة . وما أخس هذا الهدف بالداعى ، اذ من خلاله يفقد الكثير ، ويكفيه ألما وحزنا بعد الناس عنه(٢) .

ومن المؤسف له فى عصرنا أن نجد بعض القارئين لكتاب الله — عز وجل — فى المآتم والمناسبات ، يستعينون ببعض العلماء فى بيان ما يقرءون من آيات الذكر الحكيم ، ويأخذون على ذلك أجرا ماديا لا يساوى شيئا بجوار فضل الله تعالى .

بذلك هانت الدعوة فى النفوس ، وتحول المشهد من ايمان ناضج ، الى قول واستماع وتكسب ، وهذا لا يعد عيبا فى الدعوة ، بل عيبا فى الداعى الى الحق ، وقديما قالوا : « ما خرج من القلب دخل القلب ، وما خرج من اللسان لا يتجاوز الآذان » .

٤ — دعوة الحق لا تعرف نقض العهود والمواثيق :

لم يلزم الاسلام المسلمين يوما أن يبدؤا أعداءه بالقتال والمحاربة بسبب الدعوة ذاتها ، بل كان الاذن بالقتال حماية لهم دفعا لاعتداء غاشم فيه قد يسود الباطل ، وينهزم الحق ، من أجل ذلك حددت مشروعية القتال فى الاسلام بأمرين :

---

(١) سورة سبأ الآية رقم ٤٧ .

(٢) راجع فى ذلك : المنتخب فى تفسير القرآن الكريم — المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

الأمر الأول : أن يقع اعتداء من الأعـداء والخصوم على المسلمين بسبب دينهم ورسالتهم .

الأمر الثانى : أن يكون القتال فى سبيل الله مع مراعاة حفظ العهود والمواثيق ، وذلك من أجـل تمكين المسلمين فى الاستمرار بالدعـوة ، وفى ممارسة دينهم ، وتطبيق مبادئه من غير ضعف وخوف ومذلة .

فالقتال فى الاسلام لم يكن هـدفه التوسع والغزو والاستيلاء على حقوق الغير ، وسلب الأموال ، أو من أجل سيطرة أفراد على أفراد ، أو دولة على دولة ، بل كانت مشروعيته رد الاعتداء ، وتمكين المؤمنين فى مباشرة حقوقهم المشروعة ، مع مراعاتهم حفظ العهود والمواثيق ، قال تعـالى :

« **وأوفوا بعهـد الله إذا عاهـدتم ولا تنقضـوا الإيمان بعـد توكيدها وقـد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون ، ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعـد قوة أنكاثا تتخـذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هى أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحـدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون ، ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قـدم بعـد ثبوتها وتذوقوا السوء بمـا صـددتم عن سبيل الله ولكم عـذاب عظيم ، ولا تشتروا بعهـد الله ثمنا قليلا إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون** »(١) .

لقـد أراد الله ــ سبحانه ــ أن تكون هـذه سمة من سمات الأمة الخاتمة ، راسخة فى كيانها ، بعـد أن أخبر عن أهـل الكتاب أنهم يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا ، ولقـد التزمت هـذه الأمة بعهدها بالفعل ، وصار الوفاء بالعهود والمواثيق خلقا لهـا تتميز به .

وبيان ذلك أننا نرى الجيل الأول الذى رباه الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان أشـد تمسكا بكتاب الله ــ عز وجل ــ وسنة رسوله

---

(١) سورة النحـل الآيات رقم ٩١ ــ ٩٥ .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فحينما عقد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلح الحديبية مع مشركي قريش ، كان من بنود الصلح أنه من جاء محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ ممن ينتمي لهم رده اليهم ، ومن جاء قريشا من المسلمين لم يردوه .

هنا أحس المسلمون بالغبن الواقع عليهم من هذه الاتفاقية ، وبلغ الضيق بعمر ـ رضي الله عنه ـ مبلغه ، فذهب يسأل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو لسنا بالمؤمنين ؟ قال : بلى : قال : أو ليسوا بالكافرين ؟ قال : بلى ! قال : فلم نعطي الدنية من ديننا . ورد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالقول الفصل : « أني رسول الله ولست أعصيه ، وهو ناصري »(١) .

وبينما الاتفاقية غضة ما تزال ، خرج أبو جندل من صفوف المشركين مغللا بالأغلال يريد اللحاق بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمؤمنين ، فزادت رؤيته على هذه الحال من حزن المسلمين وشعورهم بالغبن ، وتقدم عمر يريد ان يلقى السيف اليه ليقاتل به ، ويفك نفسه من الأسر ، والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يأبى ، ويتمسك بالعهد المبرم بينه وبين المشركين ، وقلوب المسلمين تتقطع أسى وهم يرون هذا المنظر البئس »(٢) .

ولكنه الوفاء بالعهد والمواثيق ، فحق لهم بعد ذلك النصر ، ورفع الغبن ، وفي ذلك يقول الله سبحانه : « **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا** »(٣) ، هذا فيما يتعلق بالعهود والمواثيق .

---

(١) انظر فقه السيرة ـ د . رمضان البوطي ـ ص ٢٥٠ .

(٢) واقعنا المعاصر ـ محمد قطب ـ ص ٨٢ ، وانظر المصدر السابق أيضا ـ نفس الصفحة .

(٣) سورة الفتح الآية رقم ٢٧ .